الإنسانُ في جُزْءِ عَمَّ

«تفسير موضوعي»

جمعه واعتنى به

أبو عبد الإله / بندر فهد الايداء

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ/٢٠٢٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لك الحمد حمداً نستلذ به ذكرا وإن كنت لا أحصي ثناءً ولا شكرا

لك الحمد حمدا طيبا يملأ السما وأقطارها والأرض والبر والبحرا

لك الحمد حمدا سرمدياً مباركًا يقل مداد البحر عن كنهه حصرا

أما بعد :

فكتاب (**الإنسان في جزء في عم**) على منهج التفسير الموضوعي وطريقتي فيه كالتالي:

١. اطلعت على بعض التفاسير وتحديدا ما كُتب عن لفظة الإنسان الواردة في جزء عم وسياقاتها المختلفة، ثم صغت تلك المعاني والفوائد بأسلوب موجز لا يخرج عن إطار التفسير الموضوعي، والتفاسير كالتالي:

* جامع البيان عن تأويل القرآن – للطبري المتوفى عام ٣١٠هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
* الجامع لأحكام القرآن للقرطبي المتوفى عام ٦٧١ هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
* تفسير القرآن العظيم لابن كثير المتوفى عام ٧٧٤ هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

* فتح القدير للشوكاني المتوفى عام ١٢٥٠هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
* تفسير العلامة السعدي المتوفى رَحِمَهُ ٱللَّهُ المتوفى عام ١٣٧٦هـ.
* تفسير العلامة محمد بن عثيمين المتوفى عام ١٤٢١هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢. خلصتُ من خلال سياق الآيات وتفسيرها المتضمنة للفظة (الإنسان) أن الإنسان في جزء عم له أطوار :

* الإنسان والمصير المحتوم.
* الإنسان والتفكر والتدبر.
* الإنسان والخلق.
* الإنسان والطغيان.
* الإنسان والابتلاء.

٣. اقتصرتُ على تتبّع لفظة ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ في جزء عم لسهولة حفظه بين المسلمين صغاراً وكباراً، وحرصًا على أن يكون الكتاب سهلاً، رشيق العبارة، مرققًا للقلوب، يمكن قراءته في المساجد أو المدارس أو البيوت وغيرها، وإلا فتتبّع هذه المفردة في القرآن طريقٌ لاحبٌ، لكنه منجمٌ من الكنوز، والفوائد، ورقائق القلوب لعلّ الله أن ييسره لي مستقبلاً، ولأني حاولت الجمع بين كلامهم رحمهم الله واقتناص الفوائد وجعلها في عقد منتظم لذا لم أعزو، ومن أراد الزيادة فليرجع إلى كلامهم في مظانّه.

أخيرًا:

هذا جهد مقل وهو عرضة للاستدراك وقصدي فيه الإيجاز وأسأله جَلَّ وَعَلَا أن يرزقنا تلاوة كتابه آناء الليل وأطراف النهار وأن يعيننا على تدبره والعمل به وأن يفقهنا فيه وأسأله سبحانه أن يجعله حجة لنا لا علينا إنه أعظم مسؤول وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتبه

أبو عبد الإله / بندر بن فهد الايداء

المملكة المتحدة - اسكتلندا

عشيّة يوم عرفة لعام ١٤٤١هـ

@BandrALAyda

Email: B.F.ALayda@outlook.com

❊❊❊

(الإنسان والمصير المحتوم)

قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٣٤ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ٣٥﴾. (النازعات: ٣٤-٣٥)

الطامة الكبرى وهي قيام الساعة ويخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في هذه الآية عن الطامة وهي اسم من أسماء يوم القيامة، وهي التي تطم على كل هائلة من الأمور فتغمر ما سواها لعظيم هولها، وهي الداهية العظمى وقيل هي النفخة الثانية وقوله ﴿يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ٣٥﴾ (النازعات: ٣٥) حين يساق أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار وفي تلك الأثناء يتذكر الإنسان ما سعى وما عمل من خير وشر ويتذكره، لأنه يشاهده مدونـًا في صحائف عمله قال تعالى: ﴿وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ١٣ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤﴾ (الاسراء: ١٣-١٤) إذا قرأه تذكر ما سعى أي ما عمل، ﴿أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ (المجادلة: ٦) ولأننا عملنا أعمالاً كثيرة منها الصالح ومنها اللغو ومنها السيئ لكن كل هذا ننساه وفي يوم القيامة يعرض علينا في كتاب ويقال: اقرأ كتابك أنت بنفسك فحينئذ يتذكر الإنسان ما سعى والله المستعان.

❊❊❊

﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ٢٣﴾ (الفجر: ٢٣)

وفي هذه الآية الكريمة بيان لما يحدث في ذلك اليوم الرهيب حينما تجيء جهنم وتقاد بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يقودونها[1] ولها تغيظ وزفير

(١) روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعود ألف ملك يجرونها).

ويومئذ يتذكر الإنسان ويتعظ ويذكر ما فرط ويندم على ما قدم في الدنيا من الكفر والمعاصي وما أسلفه في قديم دهره وحديثه، فيتوب ويتعظ ولكن هيهات ولات حين مندم ومن أين له الاتعاظ ومن أين له التوبة؟ وكيف تنفعه الذكرى وقد مضى زمنها وانقضى وأتت ساعة الحساب وفات الأوان، وحينئذ الإيمان عند المعاينة لا ينفع لأن كل إنسان يؤمن بما شاهد لكن الإيمان النافع هو الإيمان بالغيب ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ (البقرة: ٣) فيصدق بما أخبرت به الرسل عن الله عَزَّوَجَلَّ وعن اليوم الآخر وفي ذلك اليوم يتذكر الإنسان ولكن قال الله تعالى ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ (الفجر: ٢٣) أي بعيد أن ينتفع بهذه الذكرى التي حصلت منه حين شاهد الحق وحينها يقول ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ (الفجر: ٢٤) والله المستعان.

❋❋❋

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾﴾ (الزلزلة: ٣)

يخبر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فيه هذه الآية أنه إذا زلزلت الأرض لقيام الساعة يستفهم الإنسان عن الأرض وما قصتها وقيل المراد به الإنسان الكافر، وقيل هو الأسود بن عبد الأسد[1] لما رواه الضحاك عن ابن عباس، وقيل أراد كل إنسان يشاهد ذلك عند قيام الساعة في النفخة الأولى من مؤمن وكافر

(١) وهو الأسود بن عبد الأسد المخزومي ، وكان مشركا شرسا سيئ الخلق قتله حمزة في معركة بدر، وقصته حين وقف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه دون ماء بدر قال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم ، أو لأهدمنه ، أو لأموتن دونه ، فلما خرج ، خرج إليه حمزة بن عبد المطلب ، فلما التقيا ضربه حمزة فأطن قدمه بنصف ساقه، وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخب رجله دما نحو أصحابه ، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه، يريد أن يبر يمينه، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض رواه .السيرة النبوية لابن هشام ص ٦٢٥.

والمقصود أن الإنسان يستنكر أمرها بعدما كانت قارة ساكنة ثابتة وهو مستقر على ظهرها فتقلبت حالها وصارت متحركة مضطربة قد جاءها من أمر الله ما قد أعده لها من الزلزال الذي لا محيد عنه ثم ألقت ما في بطنها من الأموات من الأولين والآخرين فحينها يستنكر الناس أمرها وتبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار وقوله ﴿مَا لَهَا﴾ (الزلزلة: ٣) أي مالها زلزلت ومالها أخرجت أثقالها؟ وما شأنها؟ لشدة الهول وهي كلمة تعجّب لما يرون من الأهوال والله المستعان.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦﴾ (الانشقاق: ٦)

الكادح هو الساعي بجد ومشقة ويخبر ربنا تعالى في هذه الآية أنك أيها الإنسان – يعم كل إنسان المؤمن والكافر – عامل إلى ربك عملا فملاقيه به إن كان خيرا فخير وإن شرا فشر، وساع إلى ربك وستلقى ما عملت فليكن عملك مما ينجيك من سخطه ويوجب لك رضاه ولا يكن مما يسخطه فتهلك وقوله ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ (الانشقاق: ٦) يعني أنك تكدح كدحاً يوصلك إلى ربك ،كدحاً يوصل إلى الله، يعني أن منتهى كدحك مهما كنت ينتهي إلى الله، لأننا سنموت وإذا متنا رجعنا إلى الله عَزَّوَجَلَّ فمهما عملت فإن المنتهى هو الله، وحتى العاصي إنه كادح كدحاً غايته إلى الله عَزَّوَجَلَّ ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ٢٦﴾ (الغاشية: ٢٥-٢٦) لكن الفرق بين المطيع والعاصي أن المطيع يعمل عملاً يرضاه الله والعاصي يعمل بما يغضب الله لكن مع ذلك ينتهون إلى الله عَزَّوَجَلَّ ولتعلم أيها الإنسان أن كدحك ضعيف فإن استطعت أن تجعله في طاعة الله فافعل، وقوله ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾ (الانشقاق: ٦) أي ملاق عملك والمعنى: أنك لا محالة ملاق لجزاء

عملك وما تستحق عليه من ثواب أو عقاب وقوله ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ (الانشقاق: ٦) أي عامل ناصب في معيشتك إلى لقاء ربك والملاقاة معنى اللقاء: أي تلقى ربك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعملك وقيل ملاق كتاب عملك لأن العمل قد انقضى والله المستعان.

❊❊❊

(الإنسان والتفكر والتدبر)

قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾﴾ (عبس: ٢٤)

قيل أن المراد هنا بالإنسان الكافر المنكر لتوحيد الله وقيل عام لجنس الإنسان أي: هلّا نظر هذا الإنسان إلى طعامه؟ ومأكله ومشربه كيف أنشأه الله وخلقه ومن أين مدخل هذا الطعام ومخرجه، وهذا النظر هو نظر القلب بالفكر أي ليتدبر بهذا الطعام الذي هو قوام حياته وكيف هيأ له أسباب المعاش ليستعد بها للمعاد وينبغي للإنسان أن يتذكر عند هذه الآية قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾﴾ (الواقعة: ٦٣-٦٧) من الذي زرع هذا الزرع حتى استوى ويسر الحصول عليه حتى صار طعاماً لنا؟ هو الله عَزَّوَجَلَّ ولهذا قال ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ (الواقعة: ٦٥) أي بعد أن نخرجه نحطمه حتى لا تنتفعوا به وفي الآية حضٌّ على حفظ النعم بالشكر والإيمان وبيان منة الله على عباده بأن هيأ لهم أسباب حياتهم .

❋❋❋

قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾﴾ (الطارق: ٥)

هذا الآية الكريمة تدعو الإنسان المكذب بالبعث بعد الممات والمنكر لقدرة الله تعالى أن يتفكر ويتدبر من أي شيء خلقه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟ وينظر نظر الاعتبار والبصيرة يقول تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾﴾ (الطارق: ٦) وهو ماء الرجل ووصفه الله بأنه مهين ضعيف السيلان ووصفه الله بآية آخرى بأنه نطفة أي: قليل من الماء فهذا الذي خلق منه الإنسان، والعجب أن يخلق الإنسان من هذا الماء المهين ثم

يكون قلبه أقسى من الحجارة والعياذ بالله إلا من ألان الله قلبه لدينه، وهذا من أسلوب القرآن في إقرار البعث وهو الاستدلال على النشأة الأولى فالذي أنشأ قادر على أن يعيد وفيها تنبيه للإنسان على ضعف أصله الذي خلق منه وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد ولأن من قدر على البداءة فهو قادر على الإعادة بطريق الأولى كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (الروم: ٢٧).

❋❋❋

قال تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ (العلق: ٥)

يمتن الله على الإنسان بأن علمه الخط بالقلم ولم يكن يعلمه وشرفه وكرمه بالعلم فالله أخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئًا وجعل له السمع والبصر والفؤاد قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٧٨﴾ (النحل: ٧٨) ويسر الله للإنسان أسباب العلم، فعلمه القرآن وعلمه الحكمة وعلمه بالقلم الذي تحفظ به العلوم وتضبط به الحقوق وتكون رسلاً للناس تنوب مناب خطابهم وقيل أن المراد بالإنسان هنا هو آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة: ٣١) فلم يبق شيء إلا علمه الله اسمه وقيل هو محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودليله قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ (النساء: ١١٣) والأولى حمل الإنسان على العموم والحمد لله .

❋❋❋

(الإنسان والخلق)

قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾ (العلق: ٢)

قوله تعالى ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ (العلق: ٢) أي من دم وعلق جمع علقة والعلقة الدم الجامد الرطب وإذا جرى فهو المسفوح والعلق عبارة عن دودة حمراء من الدم صغيرة وهذا المنشأ الذي به الحياة لأن الإنسان دم لو تفرغ من الدم هلك وسميت بذلك لأنها تعلق لرطوبتها بما تمر عليه فذكر العلق بلفظ الجمع لأنه أراد بالإنسان الجمع وكلهم خلقوا من علق بعد النطفة وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان وخص الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الإنسان بالذكر تشريفا له لما فيه من بديع الخلق وعجيب الصنع وقيل أراد أن يبين قدر نعمته عليه بأن خلقه من علقة مهينة حتى صار بشراً سوياً وعاقلاً مميزا .

❊❊❊

قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ (التين: ٤)

أي في أعدل خلق وصورة والمعنى: لقد خلقنا الإنسان فبلغنا به استواء شبابه وجلده وقوته، وهو أحسن وأعدل ما يكون وأقومه، منتصب القامة، متناسب الأعضاء حسنها، وقيل: ﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ (التين: ٤) أي الشاب القوي الجلد وقيل شبابه أول ما نشأ وقيل لأنه ليس شيء من الحيوان إلا وهو منكب على وجهه غير الإنسان.

قال ابن العربي: ليس الله تعالى خلق أحسن من الإنسان فإن الله خلقه حياً عالماً قادراً مريداً متكلماً سميعاً بصيراً حكيماً وهذه صفات الرب سبحانه

- وللإنسان ما يناسبه من هذه الصفات وإلا فإن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير - وعليها حمل بعض العلماء قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(إن الله خلق آدم عل صورته ...)** الحديث[1].

❋❋❋

قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾ (البلد: ٤)

أي لقد خلقنا ابن آدم في شدة وعناء ونصب وأنه حين خُلق في مشقة يكابد دنياه وآخرته، وتدخل فيها مصائب الدنيا وشدائد الآخرة فهو يكابد في طلب الرزق وفي إصلاح الحرث وغير ذلك ويعاني معاناة أشد مع نفسه ومجاهدتها في طاعة الله واجتناب المعاصي وهذا الجهاد هو أشق من معاناة طلب الرزق ولا سيما إذا ابتلي ببيئة منحرفة وصار بينهم غريبا فإنه سيجد المشقة في معاناة نفسه وفي معاناة الناس أيضـًا وقيل المراد بالكبد أي: في استقامة، يعني أنه خلق على أكمل وجه في الخلقة مستقيمـًا يمشي على قدميه ويرفع رأسه وبدنه معتدل والآية شاملة للمعنيين لأنه إذا وجدت في كتاب الله آية تحتمل معنيين وليس بينهما تناقض فإن معنى الآية يُحمل عليهما كما هو مقرر في أصول التفسير .

❋❋❋

(١) رواه البخاري ٣٣٢٦ ومسلم ٢٨٣٤.

(الإنسان والطغيان)

قال تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧﴾ (عبس: ١٧)

أي لعن الإنسان الكافر ما أشد كفره، وقيل عُذّب، وقيل المراد به عتبة بن أبي لهب[١] ومعنى ما أكفره: أي التعجب من إفراط كفره وقيل معناه: أي اعجبوا أنتم من كفره.

وقال بعض العلماء: الإنسان هنا الكافر خاصة وليس كل إنسان لقوله فيما بعد ﴿مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧﴾ (عبس: ١٧) ويحتمل أن يكون المراد بالإنسان الجنس لأن أكثر بني آدم كفار كما ثبت في الحديث الصحيح: أن الله يقول يوم القيامة: «**يا آدم فيقول: لبيك وسعديك فيقول له الله عَزَّوَجَلَّ: أخرج من ذريتك بعثًا إلى النار. فيقول: يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسع مئة وتسعة وتسعين**»[٢] فيكون المراد بالإنسان هنا الجنس ويخرج المؤمن من ذلك بما دلت عليه النصوص الأخرى وقيل ﴿مَآ﴾ (عبس: ١٧) هنا استفهامية أي: أيّ شيء أكفره؟ ما الذي حمله على الكفر؟ وإنما كان كفر الإنسان عظيمًا لأن الله أعطاه عقلاً وأرسل إليه الرسل وأنزل عليه الكتب وأمده بكل ما يحتاج إلى التصديق ومع ذلك كفر فيكون كفره عظيمًا والكفر هنا يشمل جميع أنواع الكفر ومنه إنكار البعث.

---

(١) أخرج ابن المنذر عن عكرمة في قوله تعالى ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧﴾ قال: نزلت في عتبة بن أبي لهب حين قال: كفرت برب النجم إذا هوى، فدعا عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخذه الأسد بطريق الشام. الدر المنثور (٦/ ٥٢٠)

(٢) رواه البخاري ٣٣٤٨ ومسلم ٢٢٢.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧﴾ (الانفطار: ٦-٧)

يخاطب الله الإنسان بقطع النظر عن ديانته: أي شيء غرك بالله حيث تكذّبه في البعث، ولماذا تعصيه في الأمر والنهي، لماذا غرك كرم الله وحلمه حتى تماديت في المعصية وفي التكذيب، فالاستفهام هنا تهديد ونهي أي : لا تغتر، وقيل هو إنكار عليهم أيّ: ما الذي غرّك بربك الكريم حتى كفرت ؟وقد أسبغ عليك النعم ظاهرة وباطنة، وأتمّ خلقك وسواه وعدّله على أحسن صورة ،وجعلك عاقلا فاهما، ما الذي غرك برك الكريم ؟ هل هو تهوان منك في حقوقه؟ أم احتقارا لعذابه، وهذا الاغترار سببه كله جهل الإنسان وحمقه وظلمه.

وقال بعضهم لقنه الإجابه في قوله ﴿بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ أيّ غرني كرمك، لكن هذا لا يحسن وإنما أتى باسمه الكريم لينبه على أنه لا ينبغي أن يقابل الكريم بالأفعال القبيحة، وأعمال الفجور، ولا يجوز أن يغتر الإنسان بكرم الله لأن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته[1].

وعن بسر بن جحاش القرشي «**أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصق يومًا في كفه فوضع عليها أصبعه ثم قال: قال الله عَزَّوَجَلَّ: يا ابن آدم أنّى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه؟ حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد، فجمعتَ ومنعتَ حتى إذا بلغتِ التراقي قلت أتصدق وأنّى أوانُ الصدقة**»[2][3].

---

(١) جاء هذا من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» رواه البخاري ٤٦٨٦ ومسلم ٢٥٨٣).

(٢) رواه أحمد ١٧٨٤٢ و ابن ماجه ٢٧٠٧ .

(٣) قال مقاتل في تفسيره (٤/ ٦١٣): نزلت في أبي الأشد أسيد بن كلدة الجمحي وكان أعور شديد البطش=

قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ (العلق: ٦-٧)

كلا هنا ردع وزجر لمن كفر بنعم الله تعالى عليه بسبب طغيانه ومعنى إن الإنسان ليطغى أي أنه يجاوز الحد ويستكبر على ربه وقيل أن المراد بالإنسان هنا أبو جهل وهو المراد بهذا وما بعده إلى آخر السورة، والأظهر والله أعلم أن المراد بالإنسان هنا الجنس: كل إنسان من بني آدم إذا رأى نفسه استغنى فإنه يطغى والطغيان هو مجاوزة الحد إذا رأى أنه استغنى عن رحمة الله طغى ولم يبال، إذا رأى أنه استغنى عن الله عَزَّوَجَلَّ في كشف الكربات وحصول المطلوبات صار لا يلتفت إلى الله ولا يبالي، إذا رأى أنه استغنى بالصحة نسي المرض وإذا رأى أنه استغنى بالشبع نسي الجوع ،وإذا رأى أنه استغنى بالكسوة نسي العري وهكذا فالإنسان من طبيعته الطغيان والتمرد متى رأى نفسه في غنى ولكن هذا يخرج منه المؤمن لأن المؤمن لا يرى أنه استغنى عن الله طرفة عين ،فهو دائما مفتقر إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يسأل ربه كل حاجة ويلجأ إليه عند كل مكروه ويرى أنه إن وكله الله إلى نفسه وكله إلى ضعف وعجز وعورة وأنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، هذا هو المؤمن لكن الإنسان من حيث هو إنسان من طبيعته الطغيان وهذا كقوله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢﴾ (الأحزاب: ٧٢)

= فقال : لئن أخذت بحلقة من باب الجنة ليدخلنها بشر كثير، ثم قتل يوم فتح مكة، يعني غرّه الشيطان. وقيل نزلت في الأسود بن شريق حين ضرب النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فلم يعاقبه الله عَزَّوَجَلَّ فأنزل الله هذه الآية يقول : ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾ المتجاوز عنك إذ لم يعاقبك عاجلا بكفرك؟ معالم التنزيل للبغوي (٨/ ٣٥٦).

وقيل نزلت في غيرهم والصواب أن الآية تعم الكفار والمؤمنين حتى وإن نزلت بسبب أعيان منهم فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ (العاديات: ٦)

إنَّ جنس الإنسان إذا لم يوفق للهداية كان كنودا لربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والمراد أن الإنسان لكفور لجحود لنعم الله لوّام لربه يعد المصائب وينسى النعم يرزقه الله عَزَّوَجَلَّ فيزداد بهذا الزرق عتوا ونفورا ويجحد نعم الله ولا يقوم بشكرها ولا يقوم بطاعة الله وقيل أن الإنسان الكنود: هو المنوع للخير الذي لله عليه ،فطبيعة الإنسان وجبلته لا تسمح بأن يؤدي ما عليه من الحقوق، بل طبيعتها الكسل والمنع لما عليها من الحقوق المالية والبدنية إلا من هداه الله وخرج عن هذا الوصف.

❊❊❊

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ (العصر: ٢)

المراد بالإنسان هنا جنس الإنسان ويخبر الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن بني آدم لفي هلكة ونقصان، وشر وضلال عن الحق في كل أحواله.

وقال بعض العلماء: إن الإنسان إذا عمّر في الدنيا وهرم لفي نقص وضعف وتراجع إلا المؤمنين فإنهم تكتب أجورهم التي كانوا يعملونها في حال شبابهم لما رواه البخاري في صحيحه ٢٩٩٦ من حديث أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إذا مرض العبد أو سافر، كتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا**».

وهذه الجملة مؤكدة بثلاث مؤكدات :

١. القسم. ٢. (إنّ). ٣. اللام.

وأتى بقوله ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾ (العصر: ٢) ليكون أبلغ من قوله (خاسر) وذلك أن (في) للظرفية فكأن الإنسان منغمس في الخسر والخسران محيط به من كل جانب .

وقول تعالى: ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾ (العصر: ٢) الخسار مراتب متعددة متفاوتة قد يكون خساراً مطلقـًا كحال من خسر الدنيا والآخرة وفاته النعيم واستحق الجحيم وقد يكون خسارا من بعض الوجوه دون بعض ولهذا عمم الله الخسار لكل إنسان إلا من اتصف بأربع صفات:

١. الإيمان بالله ولا يكون الإيمان بدون علم.

٢. العمل الصالح وهذا شامل لأفعال الخير كلها الظاهرة والباطنة المتعلقة بحقوق الله وحقوق عباده الواجبة والمستحبة.

٣. التواصي بالحق وهو الإيمان والعمل الصالح أي يوصي بعضهم بعضـًا بذلك ويحثه عليه ويرغبه فيه.

٤. التواصي بالصبر على طاعة الله وعن معصية الله وعلى أقدار الله المؤلمة.

فبالأمرين الأوليين يكمل العبد نفسه وبالأمرين الأخيرين يكمل غيره وبتكميل الأمور الأربعة يكون العبد قد سلم من الخسار وفاز بالربح العظيم .

❋❋❋

(الإنسان والابتلاء)

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ (الفجر: ١٥-١٦)

أن الإنسان إذا ما امتحنه ربه بالنعم والغنى وأكرمه وأفضل عليه فسيفرح بذلك ويقول: ربي أكرمني بهذه الكرامة ولا يعترف بفضل الله، وإذا ما امتحنه ربه بالفقر فقدر عليه رزقه وضيقه عليه، فسيقول: ربي أهانني وأذلني بالفقر ولم يشكر الله على ما وهب له من سلامة جوارحه ورزقه من العافية في جسمه وأهله وولده، ويقوده هذا إلى التسخط والحسد ويقول: لم يرزقني كرزق فلان ولم يكرمني كما أكرم فلان فصار عند الرخاء لا يشكر بل يعجب بنفسه ويقول هذا حق لي وعند البلاء لا يصبر بل يعترض، والله يخبر ذلك منكراً على الإنسان في اعتقاده إذا وسع الله تعالى عليه في الرزق ليختبره في ذلك فيعتقد أن ذلك من إكرام الله له وليس كذلك بل هو ابتلاء وامتحان كما قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ (المؤمنون: ٥٥-٥٦) وكذلك في الجانب الآخر إذا ابتلاه وضيق عليه في الرزق يعتقد أن ذلك من الله إهانة له كما قال تعالى ﴿كَلَّا﴾ (الفجر: ١٧) أي ليس الأمر كما زعم هذا الإنسان لا في هذا ولا في هذا، فإن الله تعالى يعطي المال من يحب ومن لا يحب ويضيق على من يحب ومن لا يحب[1].

---

(١) روى أحمد في مسنده ٣٦٧٢ من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن الله قسم بينكم أخلاقكم، كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله عَزَّوَجَلَّ يعطي الدنيا من يحب، ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا لمن أحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه ..... الحديث

وعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء**»(١).

فالعبرة بطاعة الله في كل من الحالين: إذا كان غنيا بأن يشكر الله على ذلك وإن كان فقيراً بأن يصبر فالمؤمن إذا أكرمه الله تعالى ونعّمه شكر الله ورأى أن هذا فضل من الله عَزَّوَجَلَّ وإحسان وليس من باب الإكرام الذي يقدم لصاحبه على أنه مستحق ،وإذا ابتلاه الله عَزَّوَجَلَّ وقدر عليه رزقه صبر واحتسب وقال: هذا بذنبي والرب سبحانه لم يهني فيكون صابراً عند البلاء شاكراً عند الرخاء وفي الآيتين إشارة إلى أنه يجب على الإنسان أن يتبصر ويتفكر فيقول مثلاً: لماذا أعطاني الله المال؟ ماذا يريد مني؟ يريد مني أن أشكر، لماذا ابتلاني بالفقر وبالمرض وما أشبه ذلك؟ يريد مني أن أصبر، فيكون مستيقظا بصيراً حال الشدة والرخاء والنعمة والبلاء.

تم بحمد الله

❊❊❊

(١) رواه الترمذي ٢٣٢٠ وابن ماجه ٤١١٠ .